السنة النبوية
وقضاياها المعاصرة

تحرير:
أحمد قاسم فسار
وو الفضل محمد يوسف
مصطفى صبر الله

APIUM
UNIVERSITY OF MALAYA

جميع الحقوق محفوظة لقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا، ٥٠٦٠٣ كوالا لمبور، العاصمة الماليزية. ولايسمح بنسخ أو تصوير أو خزن أو بث أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الإشكال بدون الحصول مسبقا على إذن خطي من الناشر. يستثنى من هذا الاستنساخ بهدف الدراسة الخاصة أو إجراء الأبحاث أو المراجعة على أن يشار عند الاستشهاد بذلك إلى المرجعية وفي حدود القانون الماليزيا لحماية حقوق النشر والتصاميم. وتوجّه الإستفسارات إلى الناشر على العنوان المذكور.

أحمد قاسم كسار، ذو الكفل محمد يوسف، ومصطفى عبد الله – **السنة النبوية وقضاياها المعاصرة.**

ISBN: ٣-١٣-٥٥٣٤-٩٦٧-٩٧٨.

الطبعة الأولى – ٢٠١١

الناشر:
قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا
٥٠٦٠٣ كوالا لمبور
العاصمة الماليزية
رقم للاتصال: ٠٣-٧٩٦٧٦١٥٥ / ٠٣-٧٩٦٧٦٠١٠.

المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين في علم الحديث

د. فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني

أستاذ مشارك في الحديث وعلومه

باحث بكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

كلية التربية بجامعة الملك سعود

السعودية

fbeyanouni@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن التعرف على مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث الشريف، وأعني بذلك مجموع المناهج والأفكار الرئيسة التي اعتمد عليها المستشرقون وانطلقوا منها في دراسة علم الحديث، يعد من القضايا المهمة والمقدمات الرئيسة التي تعطي تصوراً عاماً عن جهود المستشرقين في علم الحديث، وتعين على فهم موقفهم منه، وتفسير كثير من شبهاتهم حوله، ولذا يحسن الاهتمام بتلك المرتكزات قبل الدخول في تفصيلات شبهات المستشرقين حول الحديث، فهي تمثل مدخلا عاما لموضوع "الاستشراق وعلم الحديث".

وإذا كانت مرتكزات المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية عامة تتشابه في بعض جوانبها، فدراسة المستشرقين لكل علم من تلك العلوم لها مرتكزات خاصة، يجدر بالباحثين تخصيصها بالدراسة والبحث، وقد سبق للباحث إعداد بحث متخصص بتجلية المرتكزات المنهجية في دراسات المستشرقين لعلم الحديث، التي انحرفت بهم عن جادة البحث العلمي الموضوعي في أبحاثهم حول السنة النبوية[1]، واستكمالا لهذا الموضوع، ستعمل هذه الدراسة على تجلية المنطلقات الفكرية التي تمثل قاسما مشتركا لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف، وذلك بهدف تكوين صورة كلية عامة حول دراساتهم في هذا الموضوع، وتتمثل تلك المنطلقات في جملة من الشبهات العامة والأفكار الخاطئة التي أثارها أوائل المستشرقين المهتمين بدراسة علم الحديث، حتى أصبحت تلك الشبهات والأفكار أمراً مقرراً في أذهان كثير من المستشرقين المعاصرين، ومنطلقاً رئيساً ومشتركاً تُبنى عليه معظم دراساتهم حول هذا العلم، دون التفكير في مراجعتها، والتأكد من مصداقيتها.

وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وستة مطالب وخاتمة، تتحدث المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، ويعرف التمهيد بالاستشراق ونشأته، ثم تعرض الدراسة للمنطلقات الفكرية الرئيسة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، في ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: التصور الخاطئ عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به.

المطلب الثاني: إنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي في صدر الإسلام.

المطلب الثالث: دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي.

المطلب الرابع: شبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات.

المطلب الخامس: دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث.

المطلب السادس: عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

---

[1] تم نشر هذا البحث بعنوان: "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، في مجلة "التجديد"، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ماليزيا، العدد العشرون، السنة العاشرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ص٩٥-١٢٨.

أما الخاتمة فتتناول أهم نتائج البحث وتوصياته.

تمهيد

نشأة الاستشراق وعلاقته بعلم الحديث[1].

الاستشراق حركة فكرية ثقافية يقودها عدد من مثقفي الغرب المعتنين بالدراسات العربية والإسلامية والشرقية بشكل عام، والمستشرقون هم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية[2]، ويُعرف قاموس أكسفورد المستشرق (Orientalist) بأنه: "من تبحَّر في لغات الشرق وآدابه"[3].

وتعود نشأة الاستشراق رسمياً إلى عام ٧١٢هـ-١٣١٢م، حيث قرر المجلس الكنسي في فيينا تأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية والعبرية والسريانية، وذلك في الجامعات الأوروبية الرئيسة، وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدّمه المستشرق المشهور "ريموند لول" (١٢٣٥-١٣١٦م) الذي كان يحث النصارى على تعلم اللغة العربية، وذلك بهدف تنصير المسلمين، الأمر الذي يؤكد لنا الصلة الوثيقة بين الاستشراق والتنصير[4]، والجدير بالذكر أن كثيراً من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية هم في الأصل من رجال الدين اليهودي أو النصراني.

ويرى بعض الباحثين تعميم تعريف الاستشراق ليشمل غير المسلمين من العرب وغيرهم الذين اهتموا بدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وعاداتهم[5]، فيعرِّفون الاستشراق بأنه: "مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة"[6].

هذا عن الاستشراق الرسمي، أما الاستشراق غير الرسمي فيمكن أن يؤرخ له بتاريخ الفتوحات الإسلامية التي دقت أبواب أوروبا ووصلت إلى الأندلس في القرن الثامن الميلادي (أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري)، تلك المنطقة التي أصبحت بدخول المسلمين إليها مركزا من المراكز الثقافية المتميزة على مستوى العالم أجمع، فكثرت فيها

---

[1] هذا التمهيد مقتبس من مقال "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، للباحث، مجلة التجديد، العدد العشرون، ص٩٧-١١٠.

[2] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ص٥.

[3] الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢)، ص١٧. وانظر تفصيلا حول معنى كلمة مستشرق في المرجع نفسه، ص١٥-١٧.

[4] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٨ وما بعدها. وكتاب: *Orientalism*, by Said W. Edward New York, Vintage Books, 1979, pp. 49f.

[5] انظر مقال: "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٧.

[6] هذا تعريف الأستاذ عدنان محمد وزان، في كتابه "الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر"، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، نقلا عن المرجع السابق، للدكتور علي النملة، ص٢٨.

الجامعات ودور العلم، وبدأ أبناء الغرب يتوافدون إليها عن طريق البعثات العلمية إلى مدارس الأندلس، لينهلوا من معين العلم والمعرفة ويزيحوا عن أنفسهم ظلمات الجهل والتخلف، وقد رجع كثير من المبتعثين متأثرين بالثقافة الإسلامية، وداعين إليها.

ويرى بعض الباحثين أن هذه الحقبة هي التاريخ الحقيقي لبداية حركة الاستشراق، وأن ما كان قبل هذه الفترة يعد من قبيل الإرهاص والمقدمات لها، وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة والتوسع فيها[1].

وقد تناولت حركة الاستشراق العلوم الإسلامية بمختلف أنواعها، ولعل من أبرزها: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، والفقه الإسلامي، والتصوف، واللغة العربية. أما في العصر الحديث، فقد توزعت تخصصات الاستشراق حسب الأديان والثقافات والحضارات التي يشتمل عليها، أو حسب المناطق الجغرافية التي يهتم بها، فهناك المتخصصون في الدراسات العربية والإسلامية، أو الدراسات الهندوسية من جهة، وهناك المتخصصون أو الخبراء بشؤون جنوب غرب آسيا، أو الشرق الأوسط...من جهة أخرى، فغاية ما في الأمر —حسب رأي المستشرق الإسباني فرانسيسكو غابرييلي– أن الاستشراق الذي كان يعد في البداية علماً واحداً سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض، ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الإفريقي–الآسيوي، فالجمعيات الاستشراقية ما تزال قائمة[2].

وهذا يؤكد استمرار حركة الاستشراق ومناهجها، وتطورها وعدم اضمحلالها وتوقفها، كما يشهد على تحول اهتماماتها وأولوياتها بما يتناسب مع المتطلبات والاحتياجات المعاصرة للمؤسسات التي يعمل فيها أبناء هذه الحركة، والدول التي يعيشون في أكنافها. فاختفاء هذا المصطلح أو ندرة استخدامه، وظهور الأقسام والتخصصات الجديدة، كقسم الدراسات الشرق أوسطية، أو الشرق الأدنى، أو غير ذلك، لا يعني بالضرورة توقفَ هذه الحركة أو نهايتَها، وإنما هو نتيجة تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصورا في عدد محدد من المتخصصين في دراسة الشرق عامة والعالم العربي والإسلامي خاصة[3]، وهذه الأقسام والتخصصات هي الصورة الحديثة لما كان يعرف سابقا بالاستشراق، وإن تسمت بأسماء أخرى[4].

وقد اعتنى المستشرقون في القرنين الأخيرين —الرابع عشر والخامس عشر الهجري/التاسع عشر والعشرين الميلادي[5]– بدراسة الحديث الشريف وعلومه عناية كبيرة، وخصوه بكثير من أبحاثهم ودراساتهم، فلا يخفى عليهم –وهم الدارسون لثقافة الشرق وعلومه– أهمية الحديث الشريف عند المسلمين، فهو ثاني المصادر التشريعية الرئيسة، ويشكل مع القرآن الكريم المصدر التشريعي الرئيس للدين الإسلامي، وقد جاء اهتمام المستشرقين بالحديث الشريف متأخرا نوعا ما، وذلك بعد أن شغلوا فترة بالدراسات اللغوية والتاريخية، ومن أشهر المستشرقين المهتمين بالدراسات

[1] انظر مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٩.

[2] مثل الجمعية الاستشراقية الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية، والجمعية الآسيوية الفرنسية.

[3] انظر مقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني، ص٢٩١.

[4] انظر المرجع السابق، ص٢٨٧، ٣٠٢.

[5] بداية القرن الرابع عشر الهجري هو عام ١٣٠١هـ، الذي يبدأ في ١٨٨٣/١١/٢م.

الحديثية في القرنين الأخيرين: شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م)[١]، وجولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)[٢]، وفنسنك (١٨٨٢-١٩٣٩م)[٣]، وجوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م)[٤]، وجيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م)[٥].

وقد خلصت دراسات المستشرقين في علم الحديث إلى مجموعة من الأفكار الرئيسة التي تمثل قاسما مشتركا فيما بينها، وأساسا عاما تبنى عليه دراسات المستشرقين لهذا العلم على اختلاف مدارسهم، وهو ما أطلقت عليه في هذا البحث: "المنطلقات الفكرية"، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن وجهات نظر الباحثين قد تختلف في تحديد

---

[١] شبرنجر "Aloys Sprenger" مستشرق نمساوي الأصل بريطاني الجنسية. أرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا (١٨٤٢م)، وولته الحكومة رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا. عُين أستاذا للغات الشرقية في جامعتي برن، وسويسرا. نشر كتاب إرشاد القاصد لابن الأكفاني (١٨٤٩م)، والإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٨٥٦-١٨٧٣م)،. ومن آثاره: أصول الطب العربي على عهد الخلفاء، واصطلاحات الصوفية. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٢٧٧-٢٧٨.

[٢] إجناس جولدتسيهر "Goldzihr" مستشرق يهودي مجري. يعد أستاذ المستشرقين ورائدهم في مجال الدراسات الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "دراسات محمدية"، و"العقيدة والشريعة في الإسلام"، و"مذاهب التفسير الإسلامي". رحل إلى سوريا وجالس الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين ومصر. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٤٠-٤٢. يقول الدكتور السباعي في حديثه عن تشكيك المستشرقين بالسنة: "ولعل أشد المستشرقين خطرا، وأوسعهم باعا، وأكثرهم خبثا وإفسادا في هذا الميدان هو المستشرق اليهودي المجري جولدتسيهر". السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٨٩.

[٣] فنسنك "A. J. Wensinck" (١٨٨٢-١٩٣٩م) مستشرق هولندي، حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها: "موقف الرسول من يهود المدينة". أتقن اللغات السامية، وخلف سنوك هرجرونيه في كرسي العربية حتى وفاته. سعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، بالتعاون مع لفيف من المستشرقين، وقد باشروا العمل في هذا المعجم سنة ١٩٢٣م، ونشر في سبعة مجلدات في ليدن (١٩٣٦-١٩٦٩م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣١٩-٣٢٠؛ والإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للندوي، ص١٤.

[٤] جوزيف شاخت "Joseph Schacht " مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، عمل محاضرا في الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد وليدن والجزائر وغيرها، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة، منها المجمع العربي بدمشق. يعد خليفة المستشرق جولدتسيهر في مجال الدراسات الإسلامية، وقد كان لآرائه أثر كبير في كتابات من جاء بعده من المستشرقين، له آثار كثيرة ومتنوعة، من أشهرها كتابه نشأة الفقه الإسلامي. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٦٩-٤٧١؛ موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، ص٢٥٢.

[٥] جيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م) مستشرق بريطاني من مدينة جلاسكو في بريطانيا، كتب عددا من المقالات في مجال علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وفي عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. شغل منصب نائب كرسي الدراسات العبرية في جامعة جلاسكو (١٩١٥-١٩١٦م)، وعين بعد ذلك محاضرا للغة العربية في جامعة جلاسكو (١٩٢٨-١٩٤٨م). حصل على الدكتوراه من كلية الثالوث في جامعة جلاسجو، ومنح درجة الدكتوراه الفخرية في الإلهيات من جامعة سينت أندروز. شغل منصب رئيس كرسي الدراسات العربية في جامعة مانشستر (١٩٤٩-١٩٥٨م)، وكان عضوا في الجمعية الاستشراقية في جامعة جلاسكو (١٩٢٢-١٩٧٤م)، وكذلك في الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا (١٩٣٣-١٩٧٩م)، كما كان عضوا في هيئة تحرير مجلة العالم الإسلامي، المتخصصة في الدراسات الإسلامية (١٩٤٧-١٩٨٠م). انظر:

"*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, A&C Black Publisher Ltd., 1981; "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, A&C Black Publisher Ltd., 1991; "*The Writers Directory*" (1974-76), London, St. James Press; New York, St. Martin's Press, 1973.

المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف بين موسِّع ومضيَّق، ولكني أميل إلى عدم التوسع في ذلك، والاقتصار على الأفكار الرئيسة التي تعد سبباً في نشأة كثير من شبهات المستشرقين في علم الحديث، ويمكن أن ترد إليها معظم شبهاتهم، وفيما يلي عرض مفصل لتلك المنطلقات:

المطلب الأول: التصور الخاطئ عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به.

ينطلق المستشرقون في دراستهم لعلم الحديث الشريف من تصور خاطئ عن الدين الإسلامي ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، تكون خلال القرون الوسطى على يد زمرة من متقدمي المستشرقين، الذين صوَّروا الرسول صلى الله عليه وسلم كاردينالا منشقا عن البابوية طمع في كرسيها، فلما خابت آماله ادعى النبوة، كما وصفوه بكونه ساحراً ودجالاً وأنه كان صلى الله عليه وسلم أكولاً، ونؤوماً، إلى غير ذلك من الأوصاف الشنيعة التي يربأ القلم عن سردها، كما صوروا الإسلام بأنه فرقة منشقة عن الكنيسة، ومزيج مشوه مستقى من أصول مسيحية ويهودية، تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى[1].

وقد رد المستشرقون –نتيجة لانطلاقهم من هذا التصور المشوه عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم– كثيرا مما جاء في الأحاديث الشريفة من الأصول والتشريعات الإسلامية إلى أصول يهودية، ومسيحية، ووثنية، وغنوصية شرقية، وفارسية زرادشتية[2]، وذلك اعتمادا على منهج ظاهري أساسه التماس الأشباه والنظائر بين الإسلام وبين الأديان والمذاهب الأخرى، فإذا وجدوا فيما جاء به الإسلام شبهاً ولو بعيداً بما جاء في تلك الأديان والمذاهب، بادروا إلى القول بأنها هي الأصل الذي اقتبس منه الإسلام هذه الفكرة أو تلك.

وهذه ظاهرة عامة تطبع دراسات المستشرقين في علم الحديث خاصة، والعلوم الإسلامية الأخرى عامة، يقول الأستاذ جواد علي: "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من يهود...يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[3].

فالمستشرق جولدتسيهر يرى أن الإسلام عبارة عن مجموعة أفكار تم صهرها في بوتقة واحدة، فيقول: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية

---

[1] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٦-١٧؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢-١١٤، ١٢٨، ١٤٠؛ ومقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال المستشرق مكسيم رودنسون "الصورة الغربية للإسلام وتطورها عبر القرون" في كتاب تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون (سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م)، ٢/٢٧-١٠٠. وانظر: *Western View of Islam in the Middle ages*, by R. W. Southern, pp. 24-25, 30, 31, 38, 74, 81, 94.

[2] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص ٥-٦، ١٨-١٩.

[3] تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م)، ١/٩، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١١٧. وقارن مع مقال "جوينبول" حول الحديث، في دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م)، ١٣/٣٩٠-٣٩١.

والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا"[١]، وقد مثَّل لذلك بأمثلة متعددة منها الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي، والتي يردها إلى عناصر يهودية أو مسيحية[٢]، كما يدعي أن هذا التأثر يمثل سمة عامة للإسلام في جميع مراحل تطوره، فيقول: "إن نمو الإسلام مصطبغ نوعا بالأفكار والآراء الهلينستية، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني، ونظامه السياسي كما تكوّن في عصر الخلفاء العباسيين يدل على عمل الأفكار والنظريات الفارسية، وتصوفه ليس إلا تمثيلاً لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة الفلسفية"[٣].

أما المستشرق تور أندريه فيصرح قائلا: "لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير"[٤]، ويشاركه في هذا الاعتقاد المستشرق أندرسون فيقول: "ليس من شك في أن محمدا اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية"[٥].

ويطبق المستشرقون قاعدة التأثر في جميع موضوعات الحديث الشريف، ومن الأمثلة على ذلك الأحاديث التي تتحدث عن المعجزات النبوية، فالعقل الغربي —على حد قولهم– يصعب عليه الاعتقاد بأصالة هذا النوع من الأحاديث وأنها قد صدرت عن النبي حقا[٦]، ويرى جولدتسيهر وجليوم[٧] وروبسون أن هذا النوع من الأحاديث إنما هو من اختراع المسلمين، حيث أرادوا به أن ينسبوا إلى رسولهم مثل ما ينسب إلى عيسى وغيره من الرسل من خوارق العادات، "فلقد ساد توجه عام عند المسلمين يدعوهم إلى رسم صورة لمحمد لا تقل شأنا عن الصورة النصرانية لعيسى"[٨].

---

[١] العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون،(دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م)، ص٥–٦.

[٢] انظر المرجع السابق، ص١٩٤–١٩٥. وانظر رد جولدتسيهر لحديث (خلق الله آدم على صورته) إلى سفر التكوين، ٢٧/١، ص١١٢.

[٣] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص ٥–٦.

[٤] *Mohammed, the Man and His Faith*, by Tor. Andrae, London, 2nd ed., 1956. نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٣.

[٥] *The World Religion*, by J.N.D. Anderson, London, 1950, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59. نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٤. وقد اقتبس المؤلف عدة نصوص عن المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، وعن المستشرق ترتون (A.S. Tritton) في كتابه (*Islam: Belief and Practice*, London, 1957, pp. 18-19)، يبين فيها بعض المسائل التي يعتقد المستشرقون أن الرسول صلى الله عليه وسلم اقتبسها من اليهودية والنصرانية، ثم ناقشها ورد عليها وبين زيفها. انظر ص٢٤–٢٧.

[٦] See *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, P. 26.

[٧] ألفرد جليوم "Alferd Guillaume" (١٨٨٨م–١٩٦٢م). مستشرق إنجليزي تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، وكان أستاذ اللغة العربية في معهد الدراسات العربية والإفريقية في جامعة لندن، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق،عام ١٩٤٩م، وفي بغداد، عام ١٩٥٠م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١١٧/٢–١١٨؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٨–٤٩.

[٨] *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971), vol. 2, p. 346. Cf. *The Tradition of Islam*, by Alfred Guillaume, (Oxford, 1924), pp. 135f; "The material of Tradition I", by James Robson, (*The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80), p. 174.

وكذلك الأحاديث المتعلقة باليوم الآخر والجنة والنار، والمواعظ، فهي أحاديث تم اقتباسها مما جاء في الكتب السماوية السابقة، يصرح المستشرق جولدتسيهر بذلك قائلا: "ما كان يبشر به –خاصاً بالدار الأخرى– ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا، وأقام عليها هذا التبشير، لقد أفاد من تاريخ العهد القديم –وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء– ليُذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سَخِروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم، ووقفوا في طريقهم"[1].

وهكذا صرفت تلك الصورة المشوهة للرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به كثيراً من المستشرقين عن فهم حقيقة الإسلام وحقيقة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد حاول بعض المستشرقين تصحيح بعض جوانب هذه الصورة، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى التصور الصحيح عن الإسلام ورسوله، وأنه دين سماوي أوحى الله تعالى به إلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وغاية ما توصلوا إليه أن جعلوا النبي صلى الله عليه وسلم في درجة المصلحين والعظماء، فالمستشرق غوستاف لوبون يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: "وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ"[2]، ويقول وليم موير في كتابه حياة محمد: "ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ الناس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد"[3].

وعلى الرغم من جهود بعض المستشرقين في تصحيح الصورة المشوهة التي أملاها الحقد المقيت والجهل الكبير، والعمل على التخلص من آثارها، والتحلي بالموضوعية، لكن تلك الحركة كانت محدودة النتائج ولم تتمكن من تحقيق هدفها، وهكذا أضحت ملامح تلك الصورة المشوهة حقائق مسلمة يتلقاها كثير من المستشرقين دون بحث أو نظر، وصعب على كثير منهم التخلي عنها، وتجاوز آثارها في دراساتهم حول الإسلام عامة، وحول علم الحديث خاصة. وأكتفي هنا بشهادة ثلاثة من المستشرقين:

الشهادة الأولى للمستشرق هاملتون جب[4]، الذي يقول: "ولقد قامت في صفوفهم في السنوات الأخيرة محاولة إيجابية تحاول النفاذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين، بدل السطحية الفاضحة التي صبغت دراساتهم السابقة، ولكن ورغم ذلك فإن التأثر بالأحكام التي صدرت مسبقاً على الإسلام والتي اتخذت صورة (تقليد منهجي) في الغرب لا يزال قوياً في بحوثهم، ولا يمكن إغفاله في أية دراسة لهم عن الإسلام"[5].

---

[1] العقيدة والشريعة، لجولدتسيهر، ص٩.

[2] حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م)، ص١١٦.

[3] انظر هذه الاقتباسات وغيرها في كتاب المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٨–٩.

[4] هاملتون جب "Hamilton Gibb" (١٨٩٥–١٩٧١م). مستشرق إنجليزي ولد في الإسكندرية في مصر، وهو من أعلام المستشرقين في القرن العشرين. عُين عضوا في المجمع العلمي بدمشق، وفي المجمع اللغوي في القاهرة، وتولى تدريس اللغة العربية في في جامعة لندن (١٩٣٠–١٩٣٧م)، وفي جامعة أكسفورد (١٩٣٧–١٩٥٥م) خلفا للمستشرق مرجليوث، ثم في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية حيث توفي، وله آثار عديدة ومتنوعة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٢٩/٢–١٣١؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥١–٥٢.

[5] *Mohammedanism*, by H. R. Gibb, Oxford, the Preface.

والشهادة الثانية، فعلى لسان المستشرق نورمان دانيال[١] الذي يصرح بقوله: "رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها المعاصرون في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كليا عنها، كما قد يتوهمون"[٢].

أما الشهادة الثالثة، فهي للمستشرق مونتجمري واط[٣]، حيث يقول: "منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون من أجل تقويم الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا للإسلام، ولكن ورغم الجهد العلمي المبذول فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة والتي ولدتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا زالت قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر على اجتثاثها كليا"[٤]، وهذا اعتراف صريح من أحد كبار المستشرقين المعاصرين على تأثير الصورة المشوهة للإسلام ورسوله في دراسات المستشرقين المعاصرين.

المطلب الثاني: إنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي في صدر الإسلام.

يرى بعض المستشرقين أن السنة لم تكن مصدرا للتشريع في صدر الإسلام، وإنما اضطر المسلمون إلى اعتمادها مصدراً تشريعياً في وقت متأخر، وذلك بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وتجدد المشكلات وتنوعها، حيث احتاج المسلمون إلى مصدر تشريعي إضافي، فلم يعد القرآن الكريم يفي بمتطلباتهم، ونتيجة لذلك تم –في زعمهم– إضفاء صفة الوحي على السنة النبوية، واعتمادها مصدراً رئيساً للتشريع الإسلامي. ويؤرخ بعض المستشرقين لذلك بعصر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (١٥٠–٢٠٤هـ)، الذي دعم القول بحجية السنة، وناقش من ينكر حجيتها ورد حججهم ودحض شبهاتهم[٥].

وقد أدى إنكار المستشرقين لكون السنة مصدراً للتشريع في صدر الإسلام، إلى زعمهم بأن الأحاديث كانت تُروى في ذلك العصر لمجرد التسلية وملء أوقات الفراغ والتأثير في المسلمين الجدد، واستجابة لرغبة الناس في

نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٤–٥.

[١] نورمان دانيال "Norman Daniel". مستشرق بريطاني ولد عام ١٩١٩م، ودرس في جامعة أكسفورد، وحصل على الدكتوراه من جامعة إدنبره. ثم عمل في المجلس الثقافي البريطاني في كل من بغداد وبيروت والسودان والقاهرة. ومن آثاره الإسلام والغرب، ١٩٥٨م، العرب وأوروبا القرون الوسطى، ١٩٧٥م. يهتم بتغيير صورة الإسلام التي كانت سائدة في أوروبا القرون الوسطى، ويسعي إلى تحقيق الحوار والتفاهم بين النصارى والمسلمين. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٨.

[٢] *Islam and the West: the making of an image*, by Norman Daniel, p.1.

نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

[٣] مونتجمري واط "Montgomery Watt". مستشرق إنجليزي، ولد في إسكوتلاندة عام ١٩٠٩م، ودرس في جامعة إدنبرة وأكسفورد. عُين عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة إدنبرة، ومن أشهر كتبه: محمد في مكة، ومحمد في المدينة، محمد نبي ورجل دولة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٣٢/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٣–٥٤.

[٤] *Muhammad, Prophet and Statesman*, by W. M. Watt, (Oxford Univ. Press, London, 1961), p.3.

نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

[٥] See *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, p. 40. Cf. "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 84.

التعرف على شخصية هذا الرجل العظيم[1]، ولذلك لم تكن هناك حاجة لدراستها ونقد ما جاء فيها، وتمحيص رواتها.

كما أدى إنكارهم لأهمية السنة إلى إثارة الشبهات حول بداية تدوين السنة، فشكك "جولدتسيهر" بما ثبت من كتابات في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، وذهب المستشرق "موير"[2] إلى قبول خبر الزهري بأنه أول من دون الحديث، بينما يرى المستشرق "جليوم" كون هذا الخبر مختلقاً، أما المستشرق "شبرنجر"[3] فيميل إلى وجود كتابة الحديث منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نتيجة اكتشافه لكتاب "تقييد العلم" للخطيب البغدادي، سنة ١٨٥٥م[4].

وفيما ذهب إليه المستشرقون من نزع صفة التشريع عن السنة في صدر الإسلام تجاهل لنصوص الكتاب والسنة التي تأمر المسلمين بطاعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والتي جعلت طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية له سبحانه[5]. فقد اعتمد المسلمون الأوائل، من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، السنة مصدراً رئيساً من مصادر التشريع، ويشهد لذلك الآثار المروية عنهم، وتطبيقهم العملي لذلك على المستويين العام والخاص، الرسمي وغير الرسمي، أما ما ذكر عن جهود الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في دعم حجية السنة، ومناقشة منكريها، فقد كان ذلك بسبب ظهور بعض الطوائف التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام، كالمعتزلة ونحوهم، ولم يكن بهدف إقناع المسلمين اعتماد السنة النبوية مصدرا رئيسا من مصادر التشريع، فإن المسلمين بمختلف مذاهبهم وطوائفهم إلى عهد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لم ينكروا حجية السنة إذا ما ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الخلاف بينهم كان حول الطرق التي تثبت بها السنة[6].

المطلب الثالث: دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي.

---

[1] See "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, 22-32), pp. 23-25; "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 86.

[2] وليم موير "William Muir" (١٨١٩-١٩٠٢م) مستشرق إنجليزي، درَس الحقوق في جامعتي جلاسجو وإدنبره، ودرَّس في جامعة إدنبره، كما عُين رئيسا لها. ومن آثاره سيرة النبي، والتاريخ الإسلامي، ومصادر الإسلام، ونشأة الخلافة وانحطاطها وانهيارها. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٥٩/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٣٩-٤٠.

[3] سبقت ترجمته

[4] انظر عرضا لآراء المستشرقين حول تدوين السنة في دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، ٧٢/١ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، ص٦٦ وما بعدها.

[5] قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨). فالسنة المطهرة، في مجمل أحكامها وتشريعاتها -من حيث وجوب العمل بها- بمنزلة كتاب الله تعالى، واتباعها أمر من الله عز وجل وتكليف، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

[6] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين تأخر اعتماد السنة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، في كتاب للباحث بعنوان:

- *The Noble Hadith In the early days of Islam: a critical study of a western approac*h, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2005.

يزعم كثير من المستشرقين أن عملية الرواية في القرن الهجري الأول لم يكن لها أي ضابط تسير في إطاره، بل كانت تمضي حرة دون أي قيد أو شرط، الأمر الذي أدى –في زعمهم– إلى الزيادة في الروايات والمبالغة فيها، بل إلى اختلاق القصص والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإضافة معلومات وحوادثَ غير واقعية إليها، وذلك من أجل إثارة إعجاب المسلمين الجدد بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحثهم على التمسك بالدين الذي جاء به[١].

ويرى المستشرق جيمس روبسون أن عدم التنظيم والفوضى في عملية الرواية في صدر الإسلام، أدى إلى وضع الكثير من الروايات وانتشارها في المجتمع، وقد استلزم هذا الواقع إيجاد ضوابط تنظم عملية الرواية وتحكم على نتائجها، وتضع حدا لحركة الوضع والاختلاق التي صبغت رواية الحديث[٢].

ولعل من أبرز الشبهات الناتجة عن هذه الدعوى ما يأتي:

١ – اتهام الرواة عامة باختلاق الأحاديث. حيث يدعي عامة المستشرقين أن رواة الحديث لم يجدوا حرجا في إضافة أي قول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إذا ما رأوا مصلحة في ذلك.

فالمستشرق "جيمس روبسون" يصور واقع عملية الرواية في صدر الإسلام بقوله: "إن ما حصل بالفعل هو أن مجموعة من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي اعتنوا بدراسة الأحاديث، بل واختلاقها، ولكن هذا الاختلاق كان لأهداف حسنة غالبا"[٣]. ويؤكد أن هذا الواقع ينطبق على جميع طوائف المسلمين، فقد أصبح اختلاق الأحاديث من الممارسات العامة، وذلك من أجل دعم وجهات نظر الطوائف المختلفة، يستوي في ذلك المسلمون الصالحون وغيرهم[٤].

ويؤكد المستشرق "جوينبول" اتهام الرواة بوضع الحديث، فيقول: "وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير، فقد حل عهد للتطور جديد...فاستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل، ونسبوها إلى النبي، لكي تتفق وآراء العصر"[٥].

٢– شبهاتهم حول الإسناد وتأخر نشأته، حيث يذهب "كايتاني" إلى أن الإسناد لم يكن معروفا في القرن الهجري الأول، وإنما بدأ استخدامه بين زمن عروة بن الزبير المتوفى سنة٩٤هـ، ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة١٥١هـ، وبناء على ذلك يزعم بعض المستشرقين أن الجزء الأكبر من الأسانيد الموجودة في كتب الحديث إنما هو من وضع المحدثين

---

[1] Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 86.

[٢] انظر مقدمة روبسون لكتاب مشكاة المصابيح الذي قام بترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ص٦–٧. وانظر:

- "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 88.
- "Standards applied by Muslim traditionists", by James Robson, (*Bulletin of the John Ryland Library*, Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79), p. 459.

[3] Robson, "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 98-112), p. 98.

[4] See Robson "Non-Resistance in Islam", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39, pp. 2-11.), p. 3; cf. Robson "Tradition: investigation and classification", p. 99.

[٥] مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٣/٣٩٠.

في نهاية القرن الثاني أو في بداية القرن الثالث الهجري[١]، وذهب المستشرق "شاخت" إلى أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، ونمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة بطريقة عشوائية، ووصلت إلى الكمال في عصر أصحاب الكتب الستة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، "ولهذا فمن الصعب علينا أن نشارك علماء المسلمين في ثقتهم بالأسانيد...فبعض الأسانيد التي يثق بها المحدثون، هي في الواقع نتيجةٌ للانتشار الواسع للوضع في الجيل السابق للإمام مالك"[٢]، أما "هورفيتز" فيرى أن استعمال الإسناد بدأ في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري[٣]، ويميل "روبسون" إلى القول بأن البدايات الأولى للإسناد يمكن إرجاعها إلى منتصف القرن الهجري الأول[٤].

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لرواية الأحاديث في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما حوته من أصول وآداب للرواية ونقل الأخبار عامة[٥]، والأمر عند نقل سنة المصطفى عليه الصلاة الصلاة والسلام أكثر خطورة وأشد، لأن في ذلك تبليغاً عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن في زعمهم هذا تجاهلا لواقع عملية الرواية في ذلك العصر، وما أثر عن الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، الذين تربوا على منهج القرآن والسنة في تحمل الروايات وأدائها، وطبقوا هذا المنهج وأفادوا منه في عملية رواية الأحاديث، وحفظها سالمة من الزيادة والنقص والتحريف والاختلاق[٦].

المطلب الرابع: شبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات.

إن مسألة نشأة علوم الحديث عامة ومنهج النقد عند المحدثين خاصة، وما يشتملا عليه من ضوابط تضبط عملية الرواية وقواعد لدراسة المرويات ونقدها، تمثل أحد النقاط الرئيسة التي توقف عندها الكتاب الغربيون على وجه الخصوص. فبينما يعتقد علماء المسلمين بوجود منهج دقيق لدراسة الروايات ونقدها منذ صدر الإسلام، وأن علم أصول الحديث الشريف نشأ مع ظهور الحاجة إليه وتطور بتطورها، يرى كتاب الغرب أن الأمر لم يكن كما يصوره علماء المسلمين، فهم يزعمون أن علم أصول الحديث المشتمل على مبادئ النقد وقواعده لم يبدأ في

---

[1] See "The *Isnād* in Muslim Tradition", by James Robson, (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow. 15, 1953-54, 15-26), p. 18.

[2] *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, (the Clarendon Press, Oxford, 1950), p. 163.

[3] See "The *Isnād* in Muslim Tradition", by Robson, p. 19.

[٤] المرجع السابق، ص٢١. انظر مناقشة لآراء المستشرقين حول نشأة الإسناد في دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ٣٩٣/٢ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٩٤ وما بعدها.

[٥] للباحث دراسة بعنوان "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، تثبت وجود أصول وضوابط دقيقة لعملية الرواية تحفظها من الخطأ والتحريف، وترد على دعوى المستشرقين بشكل غير مباشر. مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م، ص١٦٩-٢٠٩.

[٦] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين افتقار عملية الرواية في صدر الإسلام إلى المنهج العملي، في كتاب للباحث بعنوان:

- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006, pp. 2-11, 25-32, 53-70.

الظهور إلا في وقت متأخر، بعد أن اختلط الصحيح بالسقيم، والأصيل بالدخيل، بل بعدما غلبت سمة الوضع على الروايات الحديثية، بحيث لم يعد ممكنا التمييز بين الصحيح والموضوع[1].

ويؤرخ المستشرق روبسون لنشأة هذه القواعد والضوابط بقوله: ومع بداية القرن الهجري الثاني ظهر نظام صارم للحكم على الروايات بناء على نقد أسانيدها، وحذر علماء الحديث من الرواة غير الثقات، إلا أن هذا النظام كان في مراحله الأولى آنذاك، وبحاجة إلى التطوير والترتيب[2].

ومن نتائج ما ذهب إليه المستشرقون من تأخر ظهور منهج نقد الروايات ما يأتي:

١ –زعمهم عدم قدرة قواعد علم الحديث على التمييز بين الصحيح والموضوع من الروايات، وذلك بسبب الانتشار الواسع للروايات الموضوعة قبل ظهوره، الأمر الذي يجعل التعرف على الأحاديث الصحيحة شبه مستحيل، فالمستشرق جوزيف شاخت يصرِّح بعدم كفاءة منهج النقد عند المحدثين بقوله: إن من المسلَّم به بشكل عام أن منهج نقد الروايات الذي يمارسه علماء المسلمين غير واف، ومع أن كثيراً من الأحاديث الموضوعة قد تم التخلص منها بواسطته، فإن كتب الحديث المعترف بها تحوي عددا كبيرا من الأحاديث التي لا يمكن أن تكون صحيحة[3]. ويتحدث المستشرق جيمس روبسون عن مدى فاعلية قواعد علوم الحديث وقدرتها على التمييز بين الروايات، فيقول: إن هذا النظام النقدي الصارم ظهر بعد فوات الأوان، فقد تم وضع الكثير من الروايات، كما تم نشر تلك الروايات المختلقة عن طريق تزويدها بأسانيد موثوقة، لا يمكن الشك فيها[4].

٢ –تشبيههم علم أصول الحديث ونقد الروايات –والذي كان من أروع ما ابتكره المسلمون في مجال الدراسات النقدية– بواجهة فخمة تزين مبنى غير مستقر الدعائم والأصول، فالمستشرق روبسون يصرح بأن علم مصطلح الحديث، بتفاصيله الدقيقة والمتنوعة أشبه ما يكون بواجهة فخمة تزين علم الحديث الذي لم يبن على أسس سليمة وثابتة، كما قد يوحي مظهره العام[5]. وبهذا يجرد المستشرقون علم أصول الحديث من أهميته، وأثره في الحفاظ على الأحاديث النبوية الشريفة سالمة من أي تحريف أو زيادة أو نقص.

٣ –التشكيك في روايات الحديث عامة. يصرح المستشرق روبسون بشكه في الروايات الحديثية عامة، وندرة الروايات الثابتة منها، فيقول: "إن البحث عن مواد قد تكون أصيلة بين الروايات الحديثية يواجه صعوبة بالغة، فمع أن المرء لا يجرؤ على التصريح بعدم وجود مثل هذه المواد، فإن البحث عنها في هذه الكمية الضخمة من الروايات أشبه بالبحث عن إبرة معدنية في كومة من القش"[6].

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لدراسة الأحاديث ونقدها في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما أشارت إليه من قواعد لدراسة الروايات ونقدها، فقد حوت نصوص الكتاب والسنة أصول

---

[1] See "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 98.
[2] See "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, p. 27; "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 92; *Mishkat al-Masabih*, Muhammad b. ʻAbd-Allah al-Khatīb al-Tibrīzī, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols., Lahore, 1963-65, the introduction, by the translator, p. 6.
[3] Schacht, Joseph, The origins of Muhammadan jurisprudence, p. 4.
[4] See "The material of Tradition I", by James Robson, p. 169.
[5] See Robson, "Standards applied by Muslim traditionists", p. 479.
[6] "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 98.

منهج نقد الأخبار وقواعده الرئيسة، والتي أفاد منها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، كما أفاد منها علماء الحديث بعدهم في دراسة الأحاديث ونقدها، وتشييد بنيان علم أصول الحديث[1].

المطلب الخامس: دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث.

تعد دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث أو الاكتفاء بالنقد الخارجي (نقد السند)، وعدم الاهتمام بالنقد الداخلي (نقد المتن)، للحكم على الحديث بالقبول أو الرد، إحدى المنطلقات الرئيسة لدراسات المستشرقين في السنة النبوية، تكاد تتفق عليها كتاباتهم وأبحاثهم حول السنة النبوية. ولعل من أوائل من أظهر دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، المستشرق "وليم موير"[2]، حين تحدث عن نقاد الحديث، فقال: "إنهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولا مع اتصال السند إلى الصحابي، ولو كان المضمون يستبعده العقل. إنهم لم يخوضوا غمار النقد بحرية وشمول، بل تمسكوا بتلك القاعدة الوحيدة، فلم يجرؤوا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية"[3].

كما تبنى المستشرق جولد تسيهر هذه الدعوى، وقام بنشرها في مقالاته وكتبه، حيث يقول في معرض حديثه عن منهج نقد الروايات عند المحدثين: "ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا، التي تجد مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا"[4]. ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: "فالنقدة المسلمون أنفسهم لم يحتاجوا إلى إلى استعمال كثير من الذكاء لكي يستشفوا أساس هذه الاختلافات التي لا تتفق وظروف الزمان الموجودة في تلك الأخبار، أو تلك الحالات التي تستدعي النظر والتفكير، أو تلك التهم الموجهة إلى صحة قسم كبير من الحديث، عند مقارنة هذه الأخبار المختلفة"[5].

ويوضح تلك الشبهة في كتاب آخر، فيقول: "إن وجهات النظر المعتمدة في النقد الإسلامي للسنة – بغض النظر عن موضوعية بعض الأفراد– لم تكن قادرة على تنقية الأحاديث إلا من بعض الاختلاقات الواضحة جدا، فالنقد الإسلامي يعتمد على عوامل شكلية للحكم على الأحاديث، يتم من خلالها دراسة الأحاديث

---

[1] انظر "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، للباحث، بحث مقدم لملتقى نقد المتن الحديثي، ٢-٢٠٠٤/١٠/٣م، عمّان، الأردن.
وانظر:
- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, pp. 12-24, 33-41, 71-89.

[2] وليم موير "W. Muir" مستشرق ومنصر انجليزي (١٨١٩-١٩٠٥)، شديد التعصب للنصرانية. له كتاب "حياة محمد" و"تاريخ الإسلام" في أربعة مجلدات. انظر موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، (دار العلم للملاين. بيروت، ١٩٨٤م)، ص٤٠٤-٤٠٥.

[3] انظر اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ص٤٧١، نقلا عن "تاريخ تدوين الحديث" للدكتور محمد زبير صديقي ص١٥٩.

[4] العقيدة والشريعة في الإسلام، ، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م)، ص٤١-٤٢.

[5] المرجع السابق، ص٤٥.

ونقدها بناء على الشكل الخارجي للحديث. وبناء على ذلك فإن صحة المتن تعتمد على صحة الإسناد، فمتى كان الإسناد –الذي نقلت به فكرة مستحيلة أو متناقضة– ناجحا في اختبار النقد الشكلي، بحيث يقدم سلسلة كاملة من الرواة الموثوقين، مع إمكان لقاء كل منهما بالآخر، فإن الحديث يعد عند ذلك صحيحا، ولا يُسمح لأحد بالقول: أشك في صحة الإسناد لأن متن الحديث يتضمن استحالة منطقية أوتاريخية"[1].

ويقول في موضع آخر من هذا الكتاب: "يقف النقد الإسلامي فاترا أمام المناقضات التاريخية الواضحة، مادام الإسناد صحيحا، والامتياز النبوي لمحمد كان وسيلة للتغلب على مثل هذه المشكلات"[2].

وبما أن النتائج التي توصل إليها هذا المستشرق تعد عند كثير من المستشرقين نتائج حاسمة ونهائية[3]، فقد تناقل هذه الدعوى عدد من المستشرقين بعده، فها هو المستشرق "ليون كايتاني"[4]، يعيد نشر هذه الشبهة، في نهاية الفقرة الخامسة عشرة من المجلد الأول من كتابه "تاريخ الإسلام"[5]، ويعلل انصراف علماء الحديث عن نقد متن الحديث بقوله في الفقرة الثامنة عشرة: "إن علماء الحديث والنقاد المسلمين انتقدوا الأسانيد، واجتنبوا نقد المتن، لأنهم رأوا أن نقد المتن يؤدي بهم إلى نقد الصحابة، وهذا يعني هدم أساسيات الإسلام"[6].

وهكذا انتشرت هذه الدعوى في كتب المستشرقين[7] حتى أضحت منطلقا رئيسا لكتاباتهم في علم الحديث.

والمستشرقون في ادعائهم اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، يتجاهلون الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء النقاد، في نقد الرويات الحديثية سندا ومتنا، حيث أعطوا كل جانب من جوانب الحديث —السند والمتن– ما يستحقه من الدراسة والتحقيق. لقد كانت عناية المحدثين بالسند كبيرة جدا، وذلك نظرا لطبيعة الحديث وكونه نوعا من أنواع الوحي، فلا يمكن مقارنته مع غيره من كلام البشر، أو دراسته ونقده من خلال مناهج لا تنسجم مع

---

[1] *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, vol. 2, pp. 140f.

[2] المرجع السابق، ص١٤١.

[3] انظر تاريخ التراث العربي" فؤاد سيزكين. ترجمة: محمود فهمي حجازي. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١/١/١١٧.

[4] ليون كايتاني "L. Caetani" مستشرق إيطالي (١٨٦٩–١٩٢٦)، من أشهر المستشرقين في التاريخ الإسلامي، يجيد سبع لغات منها الفارسية والعربية. رحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١\٤٢٩–٤٣٠.

[5] انظر الكتاب باللغة التركية (*Islam Tarihi*, L.Cetani, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924)، وهو ترجمة لكتابه "الحوليات الإسلامية" باللغة الألمانية، ١/٨٥.

[6] المرجع السابق، ١\٩٢–٩٣. وقد ترجم لي هذه الفقرة الأستاذ الدكتور أحمد سعاد يلدرم.

[7] نحو المستشرق غاستون ويت، انظر السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٤٥؛ والمستشرق الأمريكي ألبرت كنت كراج "A. K. Cragg"، انظر دائرة المعارف البريطانية"، (*The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768) ٨\٥٢٧؛ والمستشرق كولسون "N .J. Coulson"، في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة: د. محمد أحمد سراج. (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٣٥.

طبيعته. ومما يجدر التنبيه إليه أن نقد سند الحديث يتصل اتصالا وثيقا بنقد متن الحديث، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما معا يشكلان المنهج المتكامل في نقد الروايات عند المحدثين [1].

ومع ما بذله المحدثون من جهد واسع في دراسة الأسانيد، فإنهم لم يغفلوا دراسة المتن، بل إن الإمام ابن القيم أفرد كتابا مستقلا في بيان القواعد والمقاييس التي يمكن من خلالها الحكم على الحديث من خلال دراسة متنه، ودون النظر إلى إسناده[2]. فلم يكتف المحدثون بالنقد الشكلي للحديث اعتمادا على نقد سنده، بل نبهوا إلى ضرورة التحقق من صحة المتن وإن صح سنده. فمن القواعد المسلَّمة عندهم أن صحة السند شرط من شروط صحة الحديث، ولكنها لا توجب صحته، فقد يصح الإسناد أو يحسن دون المتن بسبب شذوذ أو علة في متنه. يقول الإمام ابن الجوزي في بيان هذه القاعدة: "وقد يكون الإسناد كله ثقات، ويكون الحديث موضوعا، أو مقلوبا، أو قد جرى فيه تدليس، وهذا من أصعب الأمور، ولا يعرف ذلك إلا النقاد"[3].

المطلب السادس: عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان هم الذين نقلوا إلينا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا نعجب إذا رأينا سهام بعض المستشرقين قد توجهت إليهم، وعملت على التشكيك في مصداقيتهم. ويُعد المستشرق "لامانس"[4] مثالا صارخا للمستشرقين الذين اهتموا بتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان لله عليهم، وقد بين "آتيين دينيه" جنوح "لامانس" وانحرافه في هذا المجال، بدليل أنه إذا تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لم يسلم أحد من غمزاته وطعناته، أما إذا تحدث عن أعداء الإسلام، كأبي جهل وأبي لهب والمنافقين، فإنه يشيد بهم ويمدحهم[5].

وقد كان للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه من شبهات المستشرقين النصيب الأكبر، ولعل ذلك لكونه أكثر الصحابة رواية، فعملوا على كيل التهم له، والتشكيك فيما رواه من الأحاديث والآثار، يقول المستشرق

---

[1] انظر في مناقشة هذه الشبهة في: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٢٦٩-٢٧٩؛ ومنهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، (دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٤٦٧؛ وعناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بسنده، للدكتور محمود طحان؛ ومقاييس نقد متون السنة، للدكتور مسفر الدميني، (الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)؛ واهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي؛ ومنهج مقارنة الروايات عند المحدثين، للباحث، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٨١-١١٢.

[2] انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

[3] الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة)، ١/٩٩-١٠٠.

[4] هنري لامانس "Henri Lammens" (١٨٦٢-١٩٣٧) مستشرق بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية، له مصنفات وافرة، وقد اتسمت مصنفاته بالتحيز وعدم الإنصاف. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٢٩٣-٢٩٦.

[5] انظر مقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٨، ١٤٠.

"جولدتسيهر": "ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائما، قد أثار الشك في قلوب الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر، كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه "شبرنجر" بأنه المتطرف في الاختلاق ورعاً"[1].

أما في جيل التابعين، فلم يسلم الإمام الزهري كذلك من اتهام المستشرقين له بالوضع، حيث يزعم المستشرق جولدتسيهر أن عبد الملك بن مروان أوكل إليه وضع حديث يشرع فيه الحج إلى بيت المقدس، وذلك خوفا من أخذ عبد الله بن الزبير البيعة من أهل الشام الذين يحجون إلى بيت الحرام في مكة، فوضع له حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى)[2].

وقد سبقت الإشارة إلى اتهام المستشرق "جوينبول" رواة الحديث عامة بوضع الحديث، حيث يزعم أنهم استباحوا لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكي تتفق وآراء العصر[3].

وهكذا يتهم المستشرقون الصحابة والتابعين بوضع الحديث، ويعممون هذا الوصف على المجتمع المسلم بشكل عام. وقد أشرت في بحث سابق إلى أن السبب في وصولهم إلى هذه النتيجة، اعتمادهم على خطأ منهجي يتمثل في الاستقراء الناقص وتعميم نتائجه[4]، فهذا الوصف الذي رمى به المستشرقون الصحابة وعلماء التابعين يصدق على طوائف "الزنادقة"، و"الزهاد"، و"القُصَّاص"، إضافة إلى بعض الجهلة من أتباع الفرق والمذاهب المختلفة، لكنه لا يعكس واقع جهود المحققين من المحدثين وموقفهم من الحديث الشريف، وقيامهم بالحفاظ عليه من الآثار السلبية لتلك الطوائف. وبذلك يتجاهل المستشرقون أبسط قواعد البحث العلمي المنصف ونتائجه، التي تشهد بالأمانة العالية للصحابة وعلماء التابعين، وغيرهم من الرواة الثقات، حيث كان التحري في الرواية وخشية الوقوع في الخطأ، معلما رئيسا من معالم منهج الرواية عندهم.

تلك هي أهم المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف حسب اطلاع الباحث واستقرائه، والتي ينبغي الوقوف عندها ومناقشتها، قبل المضي في دراسة شبهاتهم الجزئية حول هذا العلم، حيث إن

---

[1] مقال "أبو هريرة، لجولدتسيهر، دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، ٢٦/٢. وانظر مقال "حديث" في الدائرة نفسها، للمستشرق "جوينبول"، ٣٩٣/١٣. وانظر ردا على هذا الاتهام وغيره في تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على مقال "حديث" في دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية، ٤٠٤/١٣-٤٠٥؛ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٣٢٠-٣٧٣؛ ودفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م)؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ١٩٧-٢٠٥. وتجدر الإشارة إلى أن دائرة المعارف في طبعتها الجديدة باللغة الإنجليزية قد استبدلت بهذا المقال عن أبي هريرة، مقالا آخر من إعداد المستشرق "جيمس روبسون"، انتقد فيه كاتبه اتهام شبرنجر لهذا الصحابي الجليل بالوضع. انظر:

- *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 1, P. 129.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: ١١٣٢، ٣٩٨/١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، واللفظ له، حديث رقم: ١٢٩٧، ١٠١٤/٢.

[3] انظر مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ٣٩٠/١٣.

[4] انظر مقال "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، للباحث، ص١٢٣-١٢٥.

التمكن من بيان زيف هذه المنطلقات يعمل على تجلية موقفهم من هذا العلم الشريف، ودحض شبهاتهم حوله، وتحصين المسلمين ضد تلك الشبهات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن تلك الأفكار تمثل منطلقات رئيسة لدراسات عامة المستشرقين في علم الحديث، ولا يلزم من ذلك أن كل باحث غربي في علم الحديث ينطلق منها جميعا، فربما تحرر بعض المستشرقين — لاسيما المعاصرين منهم– من بعضها أو كثير منها. وقد أشرت خلال البحث إلى وجود محاولات جادة من قبل الباحثين الغربيين المعاصرين في التخلص من بعض تلك الآراء، والتخفيف من آثارها السلبية في دراساتهم وأبحاثهم، وأرجو أن تسهم هذه الدراسة في إدراك المسلمين لحقيقة موقف المستشرقين من الحديث الشريف من جهة، وإدراك الباحثين الغربيين المعاصرين لتلك الأفكار المشوهة، وآثارها في دراساتهم حول الحديث الشريف وعلومه، من جهة أخرى.

ولعل حال المستشرقين وأعداء السنة على مر العصور والأيام ينطبق عليه قول الأعشى:

كَناطِحٍ صَخْرَةً يوماً ليوهنَها.....فَلم يَضِرهَا وَأَوهَى قَرْنَه الوَعِل

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، فقال عز من قائل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون} (سورة الحجر: ٩)، والسنة مبيِّنة للقرآن ومفسِّرة له، قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون} (سورة النحل: ٤٤)، ومن مقتضيات حفظ المبيَّن حفظُ بيانه وهو السنة، وهذا يقتضي أن الله عز وجل قد تكفل بحفظ السنة كذلك، فلم يوكل سبحانه وتعالى حفظ مصادر هذا الدين لعزمات البشر واستطاعاتهم، كما فعل بالكتب والديانات السابقة، وإنما أراد لهذا الدين أن يكون خاتم الأديان، وأن يستمر إلى آخر الأزمان، فتكفل بحفظ مصدريه –القرآن والسنة– من الزيادة والنقصان، وهيأ للقيام بحمل هذه الأمانة من كل خلف عدوله، ينفون عن القرآن والسنة تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة: نتائج البحث وتوصياته.

يمكن تلخيص **نتائج البحث** فيما يأتي:

١ –تجلية المنطلقات الفكرية التي بنيت عليها معظم دراسات المستشرقين في علم الحديث، والتأكيد على مجانبتها للحق والصواب، وبيان ما كان لها من أثر واضح في دراسة المستشرقين لعلم الحديث الشريف، حيث أوصلتهم إلى نتائج بعيدة عن الصواب، ولا تنسجم مع طبيعة الحديث الشريف.

٢ –يمثل التصور الخاطئ للنبي صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به أحد المنطلقات الفكرية الرئيسة التي انحرفت بدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٣ –ادعاء المستشرقين تأخر الاعتراف بكون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، يمثل منطلقا فكريا مشتركا لمعظم دراسات المستشرقين في السنة النبوية.

٤ –دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي، وتأخر ظهور منهج نقد الروايات، واقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، تعد من الأفكار الرئيسة التي ترتكز عليها دراسات

المستشرقين للحديث الشريف وعلومه، حيث يبنون عليها موقفهم المتمثل بالشك في جميع روايات الحديث الشريف.

٥ -عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين، يعد أحد المنطلقات الفكرية المهمة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، التي جعلتهم لا يجدون حرجا في اتهام علماء القرون الأولى من الصحابة والتابعين باختلاق الأحاديث لأغراض خاصة أو عامة.

ويوصي البحث بما يأتي:

١ -العناية بتجلية مرتكزات المستشرقين المنهجية، ومنطلقاتهم الفكرية في دراساتهم لمختلف أنواع العلوم الإسلامية، الأمر الذي يعين على إعطاء نظرة كلية لشبهاتهم حول تلك العلوم.

٢ -إفراد أبحاث متخصصة لدراسة تلك المرتكزات والمنطلقات، وإبرازها في كتابات المستشرقين، ومناقشتها والرد عليها بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

٣ -العمل على تجلية الصورة الحقيقية للعلوم الإسلامية، وإبراز جهود المحققين في تلك العلوم وتوضيحها، من أجل تحصين الأمة ضد شبهات المستشرقين وأتباعهم.

٤ -إنشاء موقع متخصص في الحديث الشريف وعلومه على شبكة الاتصالات العالمية، يهتم بإبراز الصورة المشرقة لعلم الحديث وجهود العلماء فيه، ويفرد محورا من محاوره لمناقشة شبهات المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، بحيث يكون مرجعا موثوقا لطلبة علم الحديث خاصة، وللمسلمين عامة.

المصادر والمراجع

الكتب:

١ – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر،).

٢ – "الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر"، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٣ – الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣،).

٤ – الإسلام على مفترق الطرق، ليوبولد فايس، ترجمة عمر فروخ، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٦).

٥ – الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٦ – إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).

٧ – اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).

٨ – تاريخ التراث العربي" فؤاد سيزكين. ترجمة: محمود فهمي حجازي. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٩ – تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م).

١٠ -تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون (سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م).

١١ -حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م).

١٢ -دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م).

١٣ -الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢).

١٤ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٥ دفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م).

١٦ السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٧ السنة مع المستشرقين والمستغربين، د. تقي الدين الندوي، (المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

١٨ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،).

١٩ السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢٠ صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣،).

٢١ صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: دار إحياء التراث العربي، د.ت.).

٢٢ الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي، (بيروت،، ط١، ١٩٥٦م).

٢٣ العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م).

٢٤ في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة: د. محمد أحمد سراج. (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)،

٢٥ المستشرقون، نجيب العقيقي، (دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠م).

٢٦ المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م)،

٢٧ المستشرقون والتراث، الدكتور عبد العظيم الديب، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢،).

٢٨ المستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، (دار الفجر، ماليزيا، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٢٩ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، د. علي بن إبراهيم النملة، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٣٠ المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، (دون مكان نشر، ودون تاريخ).

٣١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣٢ منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٣٣ منهج مقارنة الروايات عند المحدثين، فتح الدين بيانوني، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام).

٣٤ موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، (دار العلم للملاين، بيروت، ١٩٨٤م).

٣٥ الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة).

36- *Islam Tarihi*, L.Cetani, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924.

37- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006.

38- *Mishkat al-Masabih*, Muhammad b. ʻAbd-Allah al-Khatīb al-Tibrīzī, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols, Lahore, 1963-65.

39- *Mohammedanism*, by H. R. Gibb, Oxford.

40- *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971).

41- *Orientalism*, by Said W. Edward New York, Vintage Books, 1979.

42- *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, new edition, 1960-).
43- *The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768.
44- *The Noble Hadith in the Early Days of Islam: A critical study of a western approach*", by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University, Malaysia, 2005.
45- *The Tradition of Islam*, by Alfred Guillaume, (Oxford, 1924).
46- *The World Religion*, by J.N.D. Anderson, London, 1950.
47- *The Writers Dictionary*" (1974-76), London / New York, 1973.
48- *Western view of Islam in the middle ages*, by R. W. Southern, Harvard University Press,
49- "*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, 1981; "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, 1991; "*The Writers Dictionary*" (1974-76), London / New York, 1973.
50- "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, 1991.
51- *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, (the Clarendon Press, Oxford, 1950).

الأبحاث العلمية:

١ – "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، د. فتح الدين بيانوني، (مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م).

٢ – "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٣ – "المرتكزات المنهجية لدراسات المستشرقين في علم الحديث"، د. فتح الدين بيانوني، (تمت الموافقة على نشره، في مجلة "التجديد"، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بتاريخ: ٢٠٠٦/٩/٢١م).

٤ – "المستشرق شاخت والسنة النبوية"، د. محمد مصطفى الأعظمي، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٥ – "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).

٦ – "المستشرقون والتاريخ"، للدكتور عبد العظيم الديب، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).

٧ – "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).

٨ – "المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات"، د. عماد الدين خليل، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٩ – "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، د. فتح الدين بيانوني، (بحث مقدم لملتقى نقد المتن الحديثي، ٢-٢٠٠٤/١٠/٣م، عمّان، الأردن).

١٠ – "هل انتهى الاستشراق حقا؟"، للدكتور مازن صلاح مطبقاني، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الخامسة عشرة، العدد ٤٣، رمضان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

11- "European criticism of Hadith literature", by N. J. Coulson, *Arabic literature to the end of the Umayyad period*, (The Cambridge history of Arabic literature II), Cambridge, 1983, pp. 317-321.

12- "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, *Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society* (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52, pp. 84-102.
13- "Non-Resistance in Islam", by James Robson, *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. *Glasgow (TGOS)*, 9, 1938/39, pp. 2-11.
14- "Standards applied by Muslim traditionists", by James Robson, (*Bulletin of John Rylands Library*) Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79.
15- "The *Isnād* in Muslim Tradition", by James Robson, *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow *(TGOS)*. 15, 1953-54, pp.15-26.
16- "The Material of Tradition I", by James Robson, *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80.
17- "The Material of Tradition II", by James Robson, *The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp.257-70.
18- "Tradition: investigation and classification", by James Robson, *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 98-112.
19- "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, *The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp. 22-32.